لماذا رفض اليهود يسوع

تأليف: رايموند كلسي

«لِيُصْلَبْ»؛ «دمه علينا وعلى أولادنا» (متى ٢٧: ٢٢و ٢٥). لا يوجد في كل التاريخ شيء يقاس برفض يسوع من قبل شعبه. كيف نفسر هذه الكارثة؟ كان اليهود يترقبون مجيء المسيا، فلماذا رفضوه عندما جاء؟

لقد خيّب أمالهم

كان يسوع بمثابة خيبة أمل لليهود. كانوا قد وضعوا في ذهنهم تصورات عن المسيا قبل مجيئه. كانوا قد أعدوا القالب وانتظروا لكي يضعوه فيه، وعندما جاء ولم يتلائم مع ذلك القالب، خابت آمالهم جدا. كانوا قد قرأوا نبوءات العهد القديم عن الملك القادم الذي كان عليه ان يجلس على كرسي داود، وقد بنوا على تلك النبوءات مفاهيمهم الخاصة. كانوا يتوقعون مملكة دنيوية. اختفى يسوع ذات مرة (يوحنا ٨: ٥٩) لأنهم كانوا يحاولون ان يجعلوه ملكاً بالقوة (يوحنا ٦: ١٥). سوء الفهم هذا عن المملكة امتد حتى إلى التلاميذ. كانوا يجادلون دائما عمن يكون أعظم في الملكوت. بعد موت يسوع، ندب الرسل إذ قالوا: «ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل» (لوقا ٢٤: ٢١). الحديث الذي جاء في الأصحاح الأول من أعمال الرسل يكشف ان التلاميذ لم يفهموا طبيعة الملكوت إلا بعد القيامة.

خابت أمال اليهود عندما كلمهم يسوع ان مملكته ليست من هذا العالم. قد أظهر بجلاء انه لم يكن منافسا لقيصر، ولكنهم أرادوا ذلك النوع من المملكة. قد أصدروا الحكم مسبقا، كانوا متحيزين. ما زال التحيز يمنع كثيرين من قبول يسوع. قد اتخذوا قرارا قبل ان يفحصوا كلمته. وبما انه لم يفي بتوقعاتهم، ارتدوا عنه.

لقد أدان تمسكهم بالمادية

كان يسوع قد أدان التفكير المادي والحياة المادية، واغتاظ الناس من هذا الهجوم على طريقة حياتهم. نقرأ عن يسوع يعبر بحر الجليل ويذهب إلى بلدة الجدريين {الجراسيين} (لوقا ٨: ٢٦-٣٩؛ مرقس ٥: ١-٢٠)، حيث قابله إنسان به أرواح نجسة عند السفينة، فشفاه يسوع ودخلت الأرواح الشريرة قطيع الخنازير. بعد غرق الخنازير، طلب أصحابها من يسوع ان يخرج من بلدتهم. ألفين خنزير كانت لهم خسارة فادحة! كون ان إنساناً أصبح عاقلاً ومرتدياً ملابسه، لم تعني شيئا لهم.

كانت تعاليم يسوع تقلل من الماديات وترفع من شأن الروحيات. قال يسوع الكثير عن عبث السعي وراء الغنى. لقد طرح هذين السؤالين المزعجين: «...ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟» (متى ١٦: ٢٦). أكد يسوع على ان الروابط الروحية أقوى من الروابط الجسدية، وان للروح الأولوية على الجسد. وعلم ان لملكوت السماء أسبقية من الحكومات الدنيوية وبان الله فوق قيصر. الذين يتمنون ان يعيشوا كما لو كانوا فقط من الجسد والدم، لم يقبلوه! اليوم لا يوجد فرقاً: الذين يحبون الخيرات أكثر مما يحبون الله تجرح مشاعرهم أو يتضايقون بتعاليم المسيح ويرفضونه!

لقد أدان تقاليدهم

أدان يسوع العادات والتقاليد الدينية. كان الفريسيون والصدوقيون الطائفتين الأكثر شهرة عند اليهود. اتهمهم يسوع بانهم يعبدون بشفاههم بينما قلوبهم مبتعدة عنه. أطلق على

عبادتهم عبادة باطلة لأنها كانت حسب وصايا الناس (مرقس ٧: ٦و ٧). وسماهم مراؤون.

بينما كان يسوع يجرح مشاعر اليهود، لم يكن اعتراضهم الأساسي هو على الحقائق الإيجابية التي كان يعلمها يسوع. كانت معظم الحقائق التي قدمها ثورية يصعب عليهم فهمها، ولكن لم تكن تلك هي المشكلة الحقيقية. كشفه عن الأخطاء هو الذي يغيظ الناس، لأنهم لم يرغبوا في التغيير، كلامه حارق إلى هذه الساعة. احد أهداف تعليم يسوع هو استئصال الأديان البشرية والتمسك بطقوسها المعقدة، ومهرجاناتها ومواكبها. ولأنه أدان ممارساتهم الدينية، رفض اليهود أن يقبلوا يسوع.

يوجد اليوم أُناس يغضبون عندما يتم إدانة الخطأ. يبدو ان الناس لا يفكرون بانه يمكن ان يكون للشخص فكر المسيح ومع ذلك يكون منتقد لأية تعاليم أو ممارسة دينية حديثة. ولكن ينبغي لأحد ان يدين الخطأ اينما يوجد إن كان عليه ان يتمثل بالمسيح! يظن البعض بانه ان يكون للشخص فكر المسيح يعني ان يتمادى في اللطف بحيث لا يعارض أي شيء، ولكن فهمهم خاطيء عن فكر المسيح!

كان متواضعاً أكثر مما أرادوا

رفض اليهود يسوع بسبب أصله المتواضع وبساطته، هذا لم يكن في توافق مع توقعاتهم انه كان ينبغي ان يأتي من الناصرة. ولادته في بيت لحم لم تتوقع ان تكون ذات شأن ملوكي. عندما جاء يسوع إلى بلدته صانعاً المعجزات، تسائل الناس: «أليس هذا ابن النجار؟...» (متى ١٣: ٥٥). كان يسوع بسيطاً جداً ومتواضعاً جداً!

لكي يختبر إيمان الناس، أعطاهم يسوع أشياء بسيطة ليعملوها. على سبيل المثال، طلب من الإنسان الأعمى الذي كان يستعطي ان يذهب ويغتسل الطين من عينيه في بركة سلوام؛ إنجيل يوحنا ٩: ٦و ٧. شهد بولس ان الله قد اختار ما هو جاهل في العالم ليخجل الحكماء (١ كور ١: ٢٧و ٢٨).

هناك مثال جيّد لهذا المبدأ عينه في العهد القديم، أي قصة نُعْمَان في الأصحاح الخامس من سفر الملوك الثاني. لماذا غضب نُعْمَان عندما قال له النبي ما يفعل كي يشفي من برصه؟ بسبب بساطة ما قيل له ان يفعل! كان عليه ان يغطس في نهر الأردن {سبع مرات}. طريق الله الان سهل جداً وبسيط أكثر مما ينبغي لكثيرين – لأن كثيرون وخاصة الذين يريدون ديانة براقة ومثيرة، والذين يلتمسون نظام فاتن، هم مخجولين بسبب بساطة ديانة المسيح. لو كان المسيح هنا على الأرض الآن، لخجلوا منه! هذا من أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى إضافات كثيرة في ديانة المسيح، ولهذا يحذف كثيرون منها. بساطة العشاء الرباني جعل كثيرين يرفضونه وتبدو المعمودية جهالة لكثيرمن الناس بحيث تحولوا عن المسيح ورفضوه. إن كنت سترضي الله، لا تثير استياءك بسبب البساطة التي في المسيح حذر بولس أهل كورنثوس قائلاً: «لا تفسد اذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢ كور ١١: ٣).

الخلاصة

هل رفضنا يسوع ومشيئته لنا؟ هل أخفق في الوفاء بتوقعاتنا؟ هل أصبنا بخيبة لأنه أدان ماديتنا وتقاليدنا الدينية البشرية؟ هل رفضناه في بساطته الذي طلب منا أن نفعلها؟ لا ينبغي أن نرفضه كما رفضه اليهود في القرن الأول. ❖

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧